ماخلت أن جديدا بأم الصبا … يبلى ولا ثوب الشبيبة يسلب
حتى انجلى ليل الغواية واهتدى … سار الدجى وانجاب ذاك الغيهب
وتنافر البيض الحسان فأعرضت … عني سعاد وأنكرتني زينب
قالت وريعت من بياض مفارقي … ونحول جسمي بان منك الأطيب
ان تنقضي سقمي فحرصك ناحل … أو تنكري شيبي فثغرك أشنب
الخ وبعده

يا طالبا بعد الشباب غضارة … من غيشه ذهب الزمان المذهب
أتروم بعد الأربعين وعدها … وصل الدمى هيهات عز المطلب
لولا الهوى العذري بادر الهوى … ماهاج لي طربا وميض خلب
كلا ولا استجديت أخلاف الندى … وندى صلاح الدين هام صيب
ومدحه العماد الكاتب الشهير بقصيدة طويلة فمنها قوله
أرى النصر معقودا برايتك الصفرا … فسر وافتح الدنيا فأنت بها أحرى
ومنها
يمينك فيها اليمن واليسر في اليسرى … فبشرى لمن يرجو الندى منها بشرى
ومدحه الشاعر المشهور ابن الشحنة الموصلي بقصيدة نحو مائة وثلاثة عشر بيتا
منها سلام مشوق قد براه التشوق … على جيرة الحي الذين تفرقوا
ومنها وإني امرؤ أحببتكم لمكارم … سمعت بها والأذن كالعين تعشق
ومنها وقالت لي الآمال ان كنت لاحقا … بأبناء أيوب فأنت الموفق
ومما قيل فيه لبعض أهل المشرق
الله أكبر جاء القوس باريها … ورام أسهم دين الله راميها
فلم تطر على الأمصار من شرف … بالبيوسفين فهل أرض تدانيها

فيابن يعقوب هزت جيدها طربا … ويابن أيوب هزت عطفها تيها
قل للملوك تخلي عن ممالكها … فقد أتى آخذ الدنيا ومعطيها
فلما أنشدها اياه أمر له بألف دينار ولقد قصدته الشعراء والفضلاء من كل فج عميق كما قيل يحوم حول ذراه العالمون كما
ترى الحجيج ببيت الله محتركا

الفصل السادس عشر في صبره على مكابدات المصائب وتحمله الأمور الصعاب وحلمه واحتسابه

ثم انه لما حوى في حسن أخلاقه مرتبة عظيمة وصبره فلنذكر نبذا من صبره واحتسابه في الجهاد ومن حلمه وعفوه وحفظه على أسباب المروآت باختصار فيعلم الواقف عليها مكانة الرجل ودرجته في الفضائل فنقول أما صبره واحتسابه فلقد حدث عنه القاضي ابن شداد ان صلاح الدين اشتد به المرض بسبب كثرة دمامل ظهرت من وسطه الى ركبتيه بحيث لا يستطيع الجلوس بل ينكب الى جانبه ومع ذلك نزل بخيمة الحرب بعكة ورتب الناس ميمنة وميسرة للقتال وركب بكرة النهار الى المساء صابرا على شدة الآلام فأثار تعجبا فقال لي اذا ركبت يزول عني ألمها حتى انزل وهذه عناية ربانية وقال أيضا مرض صلاح الدين فطمع الافرنج وقصدوا جيش المسلمين جهة الناصرة فركب رحمه الله على مرضه وعبى الجيش تعبية الحرب واجتهدت الافرنج أن يستولوا على نهر الماء والسلطان يساير بالجيش ويقطع بينهم وبين خيامهم وهو يسير ساعة ثم ينزل يستريح ويتظلل بمنديل على رأسه من شدة حر الشمس ولم ينصب خيمة

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)